ISSN: 3079-062X
مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية
https://alasala.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/aj/index
مجلة الأصالة

الرَّمزية الصَّوتية عند ابن جنّي ت(392هـ) في كتابه الخصائص والمحدثين من علماء العرب اللُّغويين

فهيمة سالم عبدالله بن يوسف*
إدارة الدِّراسات العليا كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها /شعبة اللُّغويات
Salemfahema7@jmail.com
تاريخ الارسال 2026/3/29م تاريخ القبول 2026/4/30م

Phonetic Symbolis in lbn jinni(d.392AH)IN HIS book AL-Khasa'is And modern Arab linguists

Faheema Salem Abdullah Bin Youssef
Department of Arabic Language and Literature Faculty of Arts
University of Zawia /Division of Linguistic Studies
Salemfahema7@jmail.com

Summary:

This study examines sound symbolism in the works of Ibn Jinni (d. 392 AH) and modern linguists. Since the beginning of history، the issue of the relationship between words and the things they refer to or symbolize has emerged. Linguistic scholars have taken different positions on this type of inquiry: some support the existence of a natural relationship between the signifier and the signified، while others reject this view and consider the relationship between the sound form and its meaning to be arbitrary. This research seeks to compare and analyze these perspectives، and to understand the nature of the relationship between the phonetic quality of a word and the meaning conveyed by that sound.

Keywords: symbolism, significance ,occasion

الملخص:

يتناولُ بحثُ الدِّراسة الرَّمزية الصَّوتية عند ابن جنّي ت(392هـ) والمحدثين من اللغويين، فمنذُ بداية التاريخ برزتْ قضية العلاقة بين الكلمات والأشياء التي تُشير أو ترمز إليها، وقد وقفَ الأعلامُ اللُّغويين إزاء هذا النَّوع من القضايا البحثية بين مؤيد

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC

لوجود علاقة طبيعية بين الدال والمدلول، وبين من هو يرفض هذه العلاقة الفكرية، ويَراهَا علاقة قائمة بين الصورة الصوتية وما تَدلُّ عليه هي اعتباطية، فجاء هذا البحث للمقاربة بين الآراء وتحليها، ومعرفة طبيعة العلاقة بين جرس الكلمة ومعناها الذي يؤديه ذلك الصوت.

الكلمات المفتاحية: الرمزية، الدلالة، المناسبة.

المقدمة:

الحمدُ لله والصَّلاة والسَّلام على أشرفِ الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

أما بعد-

فتُعدُّ الرَّمزية الصَّوتية Sound symbolism من القضايا التي شغلتْ اللّسانيات الحديثة بوصفها استثناءً جزئياً لمبدأ اعتباطية العلاقة اللُّغوية، وهو يبحث في فرضية وجود علاقة بين الصَّوت ودلالتهِ الرّمزيَّة .وفيما يخصُّ الدِّراسات السابقة التي تطرقتْ للقضايا الصَّوتية عند ابن جني كثيرة ومتعددة ، نَذكرُ منها : مقال في اللَّهجاتِ العربية في كتاب المحتسب لابن جنِّي م.د عقيل كاظم عايز ، مديرية تربية بابل ،مجلة العلوم الإنسانية ،كلية التربية ، المجلد 15، العدد الرابع كانون الاول ،2024م، وبحث في الرمزية في الآدبين العربي والغربي ،لسيد أمير محمود أنوار، وغلام رضا جاكلين زاد ،مجلة التراث الأدبي ،السنة الثانية، العدد السادس جامعة آزاد الإسلامية طهران ، وهذه الدِّراسات قد تناولتْ بصفة عامة ظاهرة من الظواهر الصوتية عند ابن جني وجاء تركيزُها على اللَّهجاتِ العربية ونشأتها والأُخرى تناولتْ ظاهرة صوتية بين لسانين مختلفين ،فأردتُ أنْ أقفَ عند هذه الظاهرة عند ابن جنِّي باعتبارهِ عبقري قويٌ في بحرِ اللغةِ والفكر الصَّوتي وعَلَّمٌ من علماءِ اللَّغة ومُولهِمِيها في حُسن التَّسللِ في الطرق الوعرة لِيضع بصمتِهِ ولسان بيانهِ على أسرار العربية ،وهو أنْموذجاً من الذين يُحْتدىَ به في عصره بإدراكه ووعيهِ لتفاصيل الدقيقة في معالجَته للقضايا اللُّغوية، لِهذا فقدْ تناولتُ موضوع الرَّمزية عنده من خلال كتابه (الخصائص).

إشكالية البحث:

تكمنُ في علاقة الصوت بالمعنى في نطاق بحث الرَّمزية الصَّوتية في فرضية وجود علاقة بين الصوت ودلالته الرمزية المعنية والاختلاف حولها.

الهدف من البحث:

يهدف البحث إلى معرفة رؤية ابن جنّي كمفكر لُغوي بمفهوم الرمزية الصوتية في منظور اللسانيات العربية الحديثة.

منهج بحث الدراسة-:

فقد سلكتُ طريقةَ المنهج الوصفي التحليلي المتمثلة في ذكر كلام ابن جني فيما يَخصُ بحث الدراسة، ثم مقاربتها وتبيان وجه الموافقة أو المخالفة بينه وبين المحدثين من اللُّغويين .

المبحث الأول ـ مفهوم الرمزية الصوتية ودلالتها عند ابن جني في الخصائص:

من الثوابت أنَّ البحثَ في طبيعة العلاقة بين جرس الكلمة ومعناها الذي يؤديه ذلك الصوت قد بدأ في وقت مبكر عند العرب منذ أن واجهوا مشكل الآيات القرآنية، وما فيها من إعجاز، واستخراج الأحكام الشرعية واللَّغوية منها عند علماء الفقه والأصول، والمفسرين واللغويين على حد السواء إدراكاً منهم لأهمية القضايا الصوتية، وما مدى اتفاق المعنى مع الحرف، ومناسبة الصوت للمعنى،[1] والذي يمثل الصورة الرمزية الصوتية، وما يدل عليها حسب اعتقادي، فقد جاء هذا البحث لتسليط الضوء على الرؤية كظاهرة من الظواهر اللغوية في أبسط صورها وما تؤديه الأصوات المكونة للكلام من دور في بيان المعنى، فالرّمزية الصوتية تمثل في البحث عن دلالة الكلمات كمكون مأخوذ من دلالة الأصوات المكونة لهذه الكلمات، وهو بمثابة النظرة التقليدية للعلاقة بين الكلمات، والأشياء التي تشير أو ترمز إليها، والرمز في اللغة: رمز: الراء والميم، والراء أصلٌ واحد يدل على حركة واضطراب، يُقال: كتيبة رُمَّازة: تموج من نواحيها،[2] والرَّمزُ: تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت، إنما هو إشارة بالشفتين، وقيل: الرَّمزُ: إشارة، وإيماء بالعينين، والحاجبين، والشفتين، والفم، والرَّمزُ في اللغة كذلك: هو كل ممَا أشرتُ إليه فما يُبانُ يلفظ بأي شيء أشرتُ إليه بيد أو بعين، ومنه ما جاء في الترتيل العزيز في قصة زكريا- عليه السلام: [3]. (أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً)

والرمزُ والتَّرمز في اللغة: الحركة والتَّحرك،[4] إذاً الرَّمزية الصوتية تتمثل في البحث عن دلالة للكلمات، تكون مأخوذة من دلالة الأصوات المكونة لهذه الكلمات،[5] والدلالة في اللغة: وردت بفتح الدال، وكسرها، وضمها، والفتح أفصح من دلل، يدل إذا هدى، ودلَّ إذا افتخر، ومنه دليل، ودليليّ، والدليليّ: العالم بالدلالة،[6] ويُقال: دلَّهُ على الطريق، يدلّهُ دلالة، ودِلالة، ودلُولة،[7] سدّده إليه، والمراد بالتسديد: إرادة الطريق،[8]

ودلّه على الصراط المستقيم: أرشده إليه وسدّده نحوه، فلا دلالة للرمز اللغوي من غير أن يكون قادراً المعنى، فالكلمة إنما تقوم في واقع الأمر بثلاث وظائف في آن واحد،[9] وعلى الدلالة أي شيء أو كل شيء يقوم بدور العلاقة أو الرمز، وهذه العلاقات أو الرموز قد تكون علامات على الطريق، وقد يكون إشارات باليد أو إيماء بالرأس، وقد تكون كلمات وجملاً ورموز غير لغوية تحمل معنى.[10]

والدلالة في الاصطلاح: الدّلالة: هي أي كونُ اللفظ متى أُطلق أو أُحسن فُهم معناه للعِلم بوضعه،[11] إذاً الدلالة ما يتوصل به معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى ودلالة الإشارات، والرموز، والكتابة، والعقود في الحساب، وسواء أكان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة، أم لم يكن بقصد كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي، قال تعالى: (مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ).[12]

وهذا يعني أن الأصوات قد ترتبط بها دلالة ما تكون هي نفسها دلالة الكلمة، إذ في نطاق الرمزية الصوتية نبحث عن دلالة ذاتية للأصوات أو تناسب مباشر بين دلالة الكلمات وطبيعة الأصوات المكونة لهذه الكلمات،[13] وقد أشار ابن جني إلى رمزية اللغة باعتبارها أصواتاً ترمز إلى أشياء عند حديثه عن أصل اللغة، أمواضعة هي أم اصطلاح؟[14] حيث يقول: غير أن أكثر أهل النظر يروا أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح، كما ذهبوا إلى أن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة، وجاء في قوله حيث قالوا: ذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً، فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظاً، إذا ذكر عُرف به ما مسمَّاه؛ ليمتاز من غيره، وليغني بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين، فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلف إحضاره؛ لبلوغ الغرض إبانة حاله،[15] وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات،[16] كدوي الريح، وصنين الرَّعد، وخرير الماء، ونهيق الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونحو ذلك، ثم وُكِّدت اللغات عن ذلك فيها بعد وهو ما يراه ابن جني بقوله: وهذا عندي وجهٌ صالحٌ، ومذهبٌ متقبلٌ.[17]

ثم أراه يعود إلى الله في أصل اللغة بقوله: "بأنَّها من عند الله- عز وجل- فقوى في نفسي اعتقاد كونها توفيقاً من الله- سبحانه- وأنها وحيٌ".[18]

وقد توسع ابن جني في زباب تعاقب الألفاظ لتعاقب المعاني وباب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني في كتابه الخصائص، فيما يخص رؤية الخليل ابن أحمد الفراهيدي 195هـ، اتجاه الدلالة الصوتية في ربطه بيني اللفظ بالصوت، حين قال: صر الجندي صريراً، إذا امتدَّ، ومنها ريح صرصر،[19] كما نجد الخليل يذكر في كتابه العين،

خرير، ونهيق، صرير،[20] وغيره من الألفاظ قائمة على محاكاة صوتية لطبيعة مباشرة، وهو ما اعتبره صورة أولية من صور الرَّمزية الصوتية، وأرى ابن جني يذكر هذا في كتابه الخصائص بقوله: قال الخليل: إنهم توَّهموا في صوت الجندب استطالة ومدَّاً، فقالوا: صَرَّ، وتوَّهموا في ضرب البازي تقطيعاً فقالوا: صرصر، وقد أشار سيبويه ت (180هـ)، كذلك بوجود علاقة بين الصوت والدلالة، والحركة، نحو: النَّقران، والغَلبَان، والغثيان، فقابلوا بتوالي حركات المقال توالي حركات الأفعال.[21] ويرى ابن دريد أيضاً أن هناك حركات المثال توالي حركات الأفعال،[22] ويرى ابن دريد أيضاً أن هناك علاقة طبيعية بين الألفاظ ومدلولاتها، من ذلك ما جاء في قوله: "إن اسم قبيلة هذيل مأخوذ من الهذل، وهو اشتقاق هُذَيل من الهذل، وهو مرتبط بالحياة الاجتماعية وما تقوم به تلك القبيلة من أعمال، أمَّا قضاعه، فمن انقطع الرجل عن أهله إذا بعد عنهم".[23]

ويُقال: تفضع بطنه إذا أوجعه، ويذكر سبب تسمية أبناء القبائل بأسماء المتتبعة، كأسماء السماع ترهيباً لأعدائهم نحو أسد، وما خشن من الأرض فهي تكسب في نظره القوة والشدة،[24] وفي باب من أبواب مقاييس اللغة لابن فارس تلمسُ العلاقة بين الأصوات ودلالتها مثلاً في قوله: "أصل باب القاف والطاء وما يُقلقها يدور حول معنى القطع، ويقول: والقاف، والطاء أصل صحيح واحد يدل على صرم وإبانة".[25]

وجاء قوله في معجمه الصاجي في فقه اللغة ما يدل على أنه يربط بين اللفظ ومدلوله وسمعتُ أبي يقول قيل لأعرابي: ما القلم؟ قال: لا أدري، فقيل له توهمه، فقال: هو عود قليم من جانبيه كتقليم الأظْفور فسُمي قلماً"،[26] وهذا إن دل على أن علماء العربية القدامى لم يعملوا اللغة العربية كنظام من الرموز الصوتية ذات العلاقة المبنية بين اللفظ ومدلوله، أو بين الرمز كوما يرمز إليه، وهو من أهم المواضع الذي ينشهر به ابن جني في الرمزية الصوتية في باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني، عندما يقول في نص حديثه: "أعلم أن هذا موضع شريف لطيف وقد نّبه عليه الخليل وسيبويه، وتلقّته الجماعة بالقبول له، والاعتراف بصحته"،[27] وذلك أنهم لما جلعوا الألفاظ دليلة المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام؛ لأنها واسطة لهما وكنوفة بهما، كأنهما سياج لها، فلمّا كانت الأفعال وليلة المعاني كرَّروا أقواتها، وجعلوه دليلاً على قوة المعنى المحدّث به، وهو تكرير الفعل؛ كما جعلوا تقطيعه في نحو: (صَرصَر)، وحَقْحَق، دليلاً على تقطيعه وسأتوسع فيه في **المبحث الثاني - بالشرح والتوضيح :**

أما رأي المحدثين اللغويين في الرمزية ودلالة الألفاظ على المعاني كما يراها إبراهيم

أنيس: أنَّ معظمَ اللغويين يربطون في مؤلفاتهم بين الألفاظ ومدلولاتها ربطاً وثيقاً يكاد يشبه الصلة الطبيعية أو الذاتية؛ معللاً ذلك بأنَّ السرَ في هذا الاتجاه هو اعتزازهم بتلكَ الألفاظ العربية وإعجابهم بها وحصرهم على الكشف عن أسرارها وخباياها، وفي هذا يقول ابنُ جنّي في كتابه الخصائص محاولاً الكشف عن شيء من تلك الصلة الخفية بين الألفاظ ودلالتها، ويشهد إبراهيم أنس فيما ذكره ابن جني في حديثه عما أسماه بالاشتقاق الأكبر الذي فسره لنا بأن الكلمة مهما قلبتها تشتمل على معنى عام مشترك، مثل : (مادة جبر) فهي تدل على القوة والجبروت والشدة وغيرها،[28] وهو ما يمثل نظام من العلاقات، ويقصد بالعلاقات هذه الرموز التي تستخدم في خلق اتصال بين شخصين وآخر، وما دامت أنواع هذه الرموز متعددة فمن الواضح أن هناك لغات متعددة، فكل حاسة يمكن أن تستخدم في خلق لغة ما، فهناك لغة للشم ولغة للمس، وكذلك للسمع، وأخرى للبصر، ولكن أهم لغة هي لغة السمع، وربما تساعدها أحياناً لغة بصرية كالإشارات باليد والوجه وغيرها.[29]

ويُشيرُ تمام حسّان إلى ما ذكره ابن جني في كتابه الخصائص من أن أصل اللغات كلها في بعض أذهان الناس إنما هو الأصوات المسموعات كدوي الريح وصنين الرعد ... إلخ.[30]

كما يرى تمام حسّان في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها: أن علماء الرمز حاولوا تقسيم معنى الرمز إلى طبيعي، وذهني، وعرفي، فقالوا: إن المعنى الذي يدركه المرء من النغمة الموسيقية معنى ناشئ عن طبيعة النعمة نفسها، فإذا كانت على صورة ما أفهمت الحزن، وإذا كانت على صورة أخرى أفهمت الفرح مثلاً، كذلك يدل البرق والرعد على احتمال المطر والصواعق، وتدل الخضرة على وجود الماء، أما المعنى الذي يُفهم من الأثر الذي يدل على سالك الطريق، وكذلك آثار المجرم على شخصية نفهي معنى ذهني، أما دلال الكلمة بالوضع على إنما تستعمل له فدلالة عرفية.[31]

والمعنى وهو قمة العمل اللغوي؛ فهو شديد الارتباط بالأداء الصوتي وخاصة فيما يتعلق بالظواهر التطريزية التي تكسو المتطوق كله، كأنماط التنغيم مثلاً، فهي تعكس طبيعة التركيب وتُفصح عن دلالته، دون لبس أو غموض، والنبر يلعبُ كذلك الدور نفسه أحياناً باختلاف درجاته وطرائق توزيعه على مفردات التركيب، ويظهر هذا بوضوح في اهتمام الناس قديماً والحديث بوضوح ما يُعرف بنظام الألفباء للغاتهم المختلفة بحيث تكون رموز هذا النظام ذات قيمة صوتية محددة تُصور حقيقة المنطوق بخواصه ومميزاته،[32] والألفباء يطلقُ على ذلك النظام الذي يقصد به تصوير الكلام

كتابة، فقد نشأت نشأة تصويرية، أي: كانت تعبر عن الكلام بطريقة التصوير وبمرور الزمن وبكثير من التعديلات عليها صارت تعتمد على الحروف والرموز المعهودة في اللغات المختلفة.[33]

ويقول كمال بشر من هنا كان من الضروري الاستعانة بنظم كتابية أخرى في هذه المعجمات لبينا الوجه الصحيح لنطق ما تنظمه من مفردات هذه النظم هي ما اتفق على تسميتها بنظم الكتابة الصوتية، وهي تشتمل على رموز خاصة يضعها الثقات من رجال الأصوات، بحيث تفي بأهداف الغرض المطلوب، وهو ترجمة نطق المفردات ترجمة سليمة تطابق النطق الفعلي الواقعي لها، ومن البديهي أن تتشكل هذه النظم برموزها على وجه يقابل حاجة كل لغة على حدا.[34]

وهذا هو جوهر العملية الإبلاغية التي تَنشدُهَا اللَّسانيات الحديثة، فإذا تم الاتصال الإبلاغي فواضح أنَّ القناة التواصلية سليمة بين الباث والمستقبل، وتبرز العلاقة الرمزية بين الدال والمدلول، فمثلاً في قوله- تعالى- من صورة الفرقان: (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً)،[35] فلولا الشمس ما عُرف فالشمس تدل على وجود الظل، فهي شبيهة بعلاقة النار بالدخان الذي يورده علماء الدلالة،[36] وهذا حسب ظني ما عبر عنه ابن جني من أن اللفظ يُغني بذكره عن إحضار الشيء إلى مرآة العين، أي أن كل مجموعة معينة من الأصوات يقابلها حالة من وعي أو إدراك خاصة، مسلسلة الأصوات التي تكون الكلمة.[37]

الكلمة الفرنسية arbre: (شجرة) وهو قول الأستاذ فاردتبرج Waltew Wartburg، وكلمة (شجرة) مرتبطة ارتباطاً وثيقاً في مجال استعمالها اللغة الفرنسية بتمثيلها arbre، وهذا الارتباط قد بدا من الكلمة إلى التمثيل، وقد يبدأ على العكس من ذلك من التمثيل إلى الكلمة؛ فما أسمع الكلمة حتى تبعثُ الصورة image حالاً في عقلي espmit، وعلى العكس من هذا إذا انبعث الصورة في عقلي فإنها تثير الكلمة ولو لم تنطقها أعضاء النطق، وهكذا، فإنه يرتبط بكل مجموعة من الأصوات عند الناطق بها وعند السامع إليها جميعاً تصور لغوي.[38]

وفي نظري هذا ما يتفق مع ما ذكره علماء العربية القدامة كالخليل وسيبويه وابن جني، وكذلك ابن فارس أثناء حديثه عن القلم وغيره الكثير.

كما نجد ابن عبدالراجحي ينقل ما قاله ابن جني في كتابه الخصائص فيما جاء في باب تعاقب الألفاظ لتعاقب المعاني، وباب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني، في ذكره لما قاله الخليل من صوت الجندب والبازري، وكذلك قول سيبويه في المصادر التي جاءت على وزن الحركات والاضطراب،[39] كما أرى أن الراجحي معجباً

ومتأثراً بابن جني حتى قال عنه: المهم أنه كان يحس إحساساً قوياً بما في اللفظة اللغوية من رمزية، وذلك حين يقول: "وذلك كأن اجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً، فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء والمعلومات، فيضعوا لكل واحد منها أسماً ولفظاً إذا ذُكر، عُرف به مسماه ... إلخ".[40]

يبدو أنَّ اللغويين العرب في القرن التاسع عشر بدَأوا بدراسة الصوت اللغوي، ولَمْ يتفق هؤلاء حول ما ورد عن الدلالة الصوتية؛ فانقسموا إزائها إلى قسمين: يذهب قسم إلى أنَّ العلاقةَ بين الألفاظ وما تدل عليه، وقد حظيت فكرة الربط الطبيعي بين الألفاظ ومدلولاتها باهتمام واسع عندَ هؤلاء، فقد يذهب أحمد فارس الشدياق إلى وجود علاقة بين الصوت والمعنى في حديثه عن الحرف وما يرمز إليه من معنى، حيث يقول: "من خصائص حرف الحاء السعة والانبساط نحو البراح والأبراح والأبطح، وحرف الميم يدل على القطع والاستئصال والكسر، نحو: حسم، وحطم، وحلقم، وخرم وخضم، وهو من مؤيدي هذه الطبيعة.[41]

ويرى كذلك أسعد علي العلايلي أنَّ لكلِّ حرفٍ معنى، ويقفُ عندَ الصَّوت المنعزل، فيقول: "فالهمزة تدل على الجوفية، والياء تدل على بلوغ المعنى في الشيء بلوغاً تاماً، والجيم تدل على العظم مطلقاً، والخاء على المطاوعة والانتشار، والدال تدل على التفرد، والراء على الملكة وشيوع الوصف، والسين على السعة والبسطة، والشين على التفشي،[42] ويرى عباس العقاد أن دلالة الصوت تتغير وفقاً لتغير موقعه في الكلمة، فهو يقول من (الحاء): "فالحكاية الصوتية في الدلالة على السعة حين يلفظ الفم بكلمات السماح والفلاح والنجاح، وما جرى مجراها في دلالة نطقه على الراحة".[43]

وجاء في المزهر في علوم اللغة أن عباد بن سليمان الصيمري من المعتزلة أنه ذهب إلى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع، على أن يضع، قال وإلا لكان تخصيص الاسم المعين بالمسمى المعين ترحيماً من غير مرجح، وكان بعض من يرى برأيه يقول: إنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها، فسُئل ما مسمى (إذا غاغ) وهو بالفارسية الحجر فقال: أجد فيه يُبساً شديداً واراه الحجز،[44] وهو به1ذا أراه يوافق ابن جني فيما جاء به من طبيعة الصلة التي قد تربط بين فكرة شكل الصوت الدال على مناسبة مدلوله.

وبهذا تكون اللغة عند ابن جني ليست مجرد أصوات نطقية، ولا مجرد تعبير عن أي شيء إنما هي اصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم التي يمارسها جميع البشر على مختلف أجناسهم عفوياً، وفي جميع أحوالها، وهو إن دلَّ فإنما يدل على

مدى سعة ابن جني العلمية ووعيه في انتقائه لفظة (الأغراض)؛ فهي مفتوحة ومعلمة وشمولية، وهذا يعني أن طبيعة اللغة هي نتاج لصورة صوتية منطوقة ومسموعة، إذ أن اللفظة اللغوية تستطيع أن تمُد الانسان بتصورات عن أشياء بطريقة لا تمكنه فيها أية وسيلة أخرى".[45]

ففي تعريف اللغة بين المحدثين وابن جني لا تبتعد كثيراً عن أنَّها أصَّوات أو جزء من النظام للرموز الصوتية، فالإشارة هنا تتألف من الدَّال والمدلول، ومناسبتها للطبيعة، وهو ما سأتكلم عنه فيما يلي:

المبحث الثاني ـ المناسبة بين الألفاظ ومعانيها عند ابن جني .

لقدْ تطورتْ نظريةُ مناسبة الألفاظ للمعاني وتشبثَ بها ابن جني وبحثها بعمق بالفحص والتمحيص حتى عُد المُلهم والرائد في هذا الشأن وقد صارتْ نظريةُ ابن جني الذي أُطلق عليها المناسبة الطبيعية في العديد من المسارات المختلفة، فما الذي تعينه المناسبة لغة واصطلاحاً.

أولاً- المناسبة في اللغة: وردت في مقاييس اللغة: (النون، والسين والباء) كلمة واحدة، قياسها اتصال الشيء بشيء، منه النَّسب، سُمِّي لاتصاله، وللاتصال به نقلو: نسبت أنسب، وهو نسيب فلان، والنَّسيبُ: الطريق المستقيم، لاتصاله بعضه من بعض،[46] وفي لسان العرب: نقول: ليس بينهما مناسبة، أي مشاكلة،[47] والمشاكلة بمعنى: المماثلة والمشابهة: نقول: هذا شكل هذا، أي مثله.[48] فالمناسبة إذاً تعني: الاتصال، والمقاربة، والمماثلة .

ثانياً- في الاصطلاح: يقول الإمام الزركشي ت(794هـ): "وأعلم أن المناسب علم شريف تحرز بها العقول، ويُعرف به قدر القائل، والمناسبة في اللغة المقاربة أي يقرب منه ويشاكله".[49]

وإذا كانت مناسبة الأصوات المسموعة لمعانيها قد لقى القبول من عدد كبير من العلماء والفلاسفة في القديم والحديث؛ فهذا يرجع إلى أن اللغات ترجع في أصولها إلى أصوات المسموعات، وهو الجانب من الدراسة التي قام أبوالفتح عثمان بن جني بالتحدث عنه في كتابه الخصائص تحت عنوان (باب تعاقب الألفاظ لتعاقب المعاني)، وباب آخر في (إمساس الألفاظ أشباه المعاني)، وتعرض فيها إلى أصوات العربية وما يمكنها أن يكون لها من قيم دلالية يستطيع المار عليها بالقراءة والتمعُّن معرفة ما توحيه من خلال نطقها وسماعها، حيث يقول: "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب تعميم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم؛ وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المُعبَّر عنها، فيُعدلونها ويحتذُونها

عليها، وذلك أكثر مما تُقدره، وأضعاف ما نستشعره"،[50] موضحاً ذلك في قولهم: (خَضِمَ)، و(قَضِمَ)، فـ(الخَضْمُ) الأكل الرُّطب كالبطيخ والقثاء، و(القَضْمُ) للصُّلب اليابس، فهو: قَضِمَت الدابة شعيرها،[51] فقد ربط هنا ابن جني طبقة الصوت (رخاوة الخاء) و(شدة القاف بطبيعة المعنى)، وهذا ما نصب عليه الدراسات وفق الاصطلاح في الرمزية الصوتية، وحذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأصوات.[52]

ومنه كذلك قولهم: (النَّضح) للماء نحوه و(النَّصْخُ) أقوى من النَّصح؛ قال تعالى: (فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ)،[53] فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف، والخاء لغلظها لما هو أقوى منه،[54] ومنه أيضاً قولهم (الوسيلة، والوصيلة)، والصاد كما ترى أقوى صوتاً من السين؛ لما فيها من الاستعلاء، والوصيلة أقوى معنى من الوسيلة؛ لأن التوسل ليست له عظمة، والوصلة والصلة أصلها اتصال الشيء بالشيء، ومماسته، والتوسل معنى يضعف ويصخر، ولهذا جعلوا (الصاد) لقَّوتها، للمعنى الأقوى، والسين لضعفها للمعنى الأضعف،[55] ومنه الوارد كثيراً، ونجد ابن جني يقول في باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني: "وأعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقدْ نَبَّه عنه الخليل وسيبويه وتلقّته الجماعة بالقبول له، والاعتراف بصحته"،[56] وذكر قول الخليل في توهمه في صوت الجندب واستطالة ومَّداً، فقالوا: صَرَّ، وفي صوت البازي تقطيعاً، فقالوا: صَرْصَر، وقول سيبويه في المصادر التي جاءت على (الفعلان) نحو: الغثيان، والنقزان، ويقول ابن جني: "ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت واجداه، ومنهاج ما متلاه"،[57] وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة نأتي للتكرير؛ نحو الزعزعة، والقلقلة، ووجدت أيضاً (الفعلى) في المصادر والصفات إنما نأتي للسرعة نحو: البشكي، والجمزي.[58]

ويقول السيوطي في كتابه المزهر: "وأمَّا أهل اللَّغة العربية فقدْ كادُوا يُطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني"،[59] كما يذكرُ ما عقدَهُ ابنُ جنِّي في الخصائص فيما يخص مناسبة الألفاظ للمعاني في باب إمساس الألفاظ عندما يقول هذا موضع شريف نبه عنه الخليل سيبويه وتلقته الجماعة بالقبول.

ونُقل عنه تقريباً كل ما تحدث عنه ابن جني من قول سيبويه في المصادر وغيره،[60] وبهذا يكون السيوطي يوافق ابنَ جنِّي ويتلقى معه في هذا، وما يدل على إدراك ابن جني ووعيه بهذه النواحي في كتابه الخصائص حين يقول كذلك: "وأعلم أنَّ العربَ تختلفُ أحوالها في تلقي الواحد منها لغة غيره، فمنهم من يخف ويسرع قبول ما يسمعه، ومنهم من يعتصم فيقيم على لغته البتة، ومنهم إذا طال تكرر لغة غيره عليه لصقت به، ووجِدتْ في كلامهِ، ألا ترى قول رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وقد

قيل: يا نبيء الله، فقال: لست بنبيء الله، ولكنَّني نبي الله، وذلك أنَّه عليه الصلاة والسلام أنْكرَ الهمزةَ في اسمهِ فردَّه على قائله".[61]

والذي يُفهم من خلال هذا السياق أن اللغة عند ابن جني ليست مجرد أصوات بشرية ولا تعبير عن أي شيء عشوائي غنما هي أصوات يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وذكره كلمة الأغراض تدل على إلهام والسعة العلمية عنده؛ لأنها أكثر شمولاً واتساعاً من غيرها.

كمَا أَرى أنَّ ابنَ جنّي لَمْ ينفِ أي وجود لعلاقةٍ طبيعيةٍ صوتية دلالية تقوم في بعض الألفاظ على المناسبة، وهومَا استنتجته بوضوح من خلال تصريحه بذلك في قوله: "أنَّ بعضَ الألفاظ العربية تُصاغ أصواتها بما يناسب معانيها"،والله أعلم.

أمَّا المحدثين من اللُّغويين فمنهم من يُسجل إعجابه الشديد لمَا ذهبَ إليه ابنُ جنّي من العلاقة بين اللفظ والمدلول كعبد صبحي الصالح، حيث يصف رأي ابن جني أنَّه "فتحاً مبيناً في اللغات".[62]

ويذكر صالح سليم عبدالقادر ما تَحدثَ عنه ابن جنّي في هذا الجانب من الدراسة بقوله: يَتحدثُ أبوالفتح ابن جني حين يقول في خصائصه ببابين، أولهما :عنوانه تعاقب الألفاظ للمعاني، وتاينهما: إمساس الألفاظ أشباه المعاني.

ونقل ما تُوحيه لفظة (خضم وقضم) من خلال نطقها، مرجحاً ذلك إلى خصيصة الصَّوت نفسه لا إلى قوة سحرية تعمل عملها في إظهار المعنى، فما تتضح القيمة التعبيرية للصوت المستوحاة من خصائص الصوت نفسه وضرب مثلاً بصوت (القاف والخاء) يعبران في المخرج، والأول لهوي، والثاني طبقي وكلاهما مهموس، والقاف شديد، والخاء رخو، والشدة والرخاوة هما اللتان حددتا المعنى، وعلى هذا يقول: فإن الصوت الشديد يستخدم في التعبير عن أمور شديدة والرخو يُعبر عن أمور لينة.

وفيه (شدَّ) وصدَّ، ونقلَ ما تَحدثَ عنه ابنُ جنّي من كلمات معبرة كالقسم، والقصم، وغيرها،[63] ويرى أنَّ ابنَ جنّي يُعالجُ ظاهرةَ تلاصق الكلمات صوتياً كأنَّ تتشارك كلماتٌ في بعض الأصَّوات ويَربطُ ذلك أحياناً بتلاصق المعاني بين تلك الكلمات أي علاقة عشوائية بين شكل اللفظ ومضمونه.

كما يتَطرقُ ابنُ جنّي إلى فكرة أنَّ هناك صلة طبيعية قد تربط بين شكل الصَّوت الدَّال ومعناه المدلول، ويَراهَا صالح سليم الفاخريري هي فكرة تقارب بعض النظريات الحديثة في الرمزية الصوتية.[64]

وأرى أيضاً أنَّ عبد الراجحي ينقل عن ابن جني ما جَاءَ به في هذا الشأن وما

توسع فيه من أنَّ هناك صلةٌ قويةٌ بيَنَ اللَّفظ ومدلوله في باب تعاقب الألفاظ، وباب إمساس الألفاظ أشباه المعاني، إذا كانَ ابنُ جنّي يؤمنُ أنَّ هناك صلة قوية بين اللفظ ومدلوله،[65] ومع هذا فقدْ ذهبَ عبده الراجحي إلى نفي العلاقة الطبيعية محتجاً برفضه لهذه الفكرة؛ بأنَّ الكلمة تختلف أصواتها من لغة إلى أخرى بألفاظ متباينة، ومثل على ذلك بكلمة رجل،[66] وكذلك نجدُ رأي محمود فهمي حجازي بدوره ينفي وجود أي قيمة ذاتية طبيعية تحملها الرموز الصوتية فيقول: "فليس هناك أية علاقة بين كلمة حصان ومكونات جسم حصان ...، وإذا كانت هناك ثمةَ علاقة بين اللفظ والمدلول، فإنَّها لا تُعدُّ على كونِها اصطلاحية عرفية"،[67] كما أرى أنَّ إبراهيم أنيس كذلك يقول: "لا شك أن الذين ينكرون الصلة بين الأصوات والمدلولات هم أقربُ الفريقين إلى فهمِ الطبيعة اللغوية"[68] ،وهذه القراءةُ تُوحي إلى أنَّهُ هو الآخر يُعارض هذه الفكرة.

ويَرى مراد مبارك أنَّه مهما تَعددتْ الآراءُ حَولَ الدلالة الصَّوتية فإنَّه لا يمكنُ إنْكار الأثر الدَّلالي الذي يُحْدثُه الصَّوت في المعنى سواء من خلال الجرس الصوتي أو من خلال الإيقاع اللُّغوي، أو من خلال المؤثرات الصوتية النَّوعية، وهو بهذا يُريدُ في نظري أنْ يصلَ إلى تثبيت مَنْهَجاً تحليلاً للنَّص يَرتكزُ فيه على الصَّوت وتُبنَى فكرة وجود العلاقة بين الصوت ومَا يَدلُّ عليه،[69] وممَّا سبق يَتضحُ لي أنَّ العلاقة بين اللفظ والمدلول بقيت موضع خلاف منذ زمن اللغويين القدامى وحتى المحدثين الآن، ولَمْ يَصدرُ في أمرها رأي قاطع، والذي يترأ لي من أنَّ ابنَ جنّي يَرى أنَّ للصَّوتِ نفسهُ أثرٌ دلاليٌ وليسَ مجرد واسطة بين اللفظ ومعناه في بعض الحالات مثل ما ذُكرتُ في تأثير النَّبر والتَّنغيم، على الدلالة في باب تعاقب الألفاظ لتعاقب المعاني فنجدُهُ يُعالجُ ظاهرةَ تلاصق الكلمات صوتياً كأن تتشارك الكلمات في بعض الأصوات ويربطها أحياناً بتلاصق المعاني بين تلك الكلمات، فهو بالتالي يُثبتُ فكرةَ أنَّ هناك صلة طبيعية تربط بين الشَّكل الصَّوتي للكلمةِ ومعناها في بعض الحالات، وهذه الفكرة أَراهَا تتقاربُ ببعضِ النَّظريات الحديثة في الرمزية لصوتية؛ لأنَّ الدَّراسات الحديثة تناولتْ هذا الجانب، والذي أظهر أنَّ ابن جني له الأسبقية في انتباهه للعلاقة القائمة بين الصوت والمعنى، وإن لَمْ يَسْتعملْ المصطلحات اللسانية بنفسِ المصطلحات، لكنَّه أَولى الصَّوت مكانةً تُميزهُ في الدراسة الدلالية لِمَا له من أثرٍ في المعنى في بعض السياقات، وأنَّ هناك علاقة سوية بين مواقع الأصوات وطبقاتها في اللفظ من جهة وبين معانيها أو تأثيرها الدلالي من جهة أخرى، فهو يرفض العشوائية المطلقة بين

الصوت والدلالة.والله أعلم، وهذا يقودنا إلى المبحث التالي والأسس التي بَنَي عليها ابنُ جِنّي فكرتَه.

المبحث الثالث ـ الأسس التي بنى عليها ابن جني فكرة قوة الألفاظ وأثرها في توليد المعاني:

والمناسبة بين الألفاظ والمعاني عند ابن جنّي وتَعرضه لها بالفحصِ والبحثِ حتى أسس لفكرة أنَّ المبنى يَحملُ أثرَ المعنى، وأنَّ بعضَ الألفاظِ أقوى صوتاً ومعنى من غيرها؛ لأنَّ الأصَّواتَ المُكَونة لهَا تشتركُ في صفات القوة أو الرخاوة التي تنعكس على معناها، فقدْ ذكرَ ابنُ جنّي في باب تلاقي المباني على اختلاف الأصول والمباني (مقارنة بين بُنتيتن)، فَربطَ بين قطعة المسلك والصُّوار، حيث يقول: فالمسك من أسماء الجلد؛ لأنَّه يُمسكُ ما تحته من جسم الانسان، إضافة إلى أنَّه يُمسكُ حاسةَ من يَشمهُ، والصُّوار قيل له ذلك لأنه يسمك من يشمه أيضاً.[70]

وفي حديثه عن التقليب الجامع للمعنى: فقد عقد ابنُ جنّي فصلاً كاملاً في كتابه الخصائص سماه (الاشتقاق الأكبر)، كفيرى فيه أن الكلمة الواحدة مهما اختلف ترتيب حروفها فإنها تعقد في سلك معنى عام مشترك فيه، ويذكر تقاليب كلمة (جبر) فهي أين وقعت القوة والشدة، والجبر الملك لقوته، ومنها رجل مجرب إذا جرسته الأمور، واشتدتْ شكيمتُه، ومنه الجراب؛ لأنَّه يحفظُ ما فيه، وإذا حفظَ الشيء اشتد وقوي، ومنها الأبجر،[71] وهو القوى السرَّة، ومنه ما جاء في التقارب المعنوي الصوتي، ما عقده ابن جني في باب (تعاقب الألفاظ لتعاقب المعاني)، الذي يقومُ على أساسِ أنَّ المعاني المتقاربة تحتاجُ إلى أصوات متقاربة للتعبير عنها، ومنه ما ورد في قول الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزاًّ)،[72] أي بمعنى تُقلقلهم وتُزعجهم، فهذا في معنى تهُزهم هزّاً، والهمزة أُخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المَعنيَين، وكأنَّهم خصُّوا هذا المعنى بالهمزة؛ لأنَّها أقوى من الهاء ، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزّ،[73] وأرى ابنَ جني يسوقُ الأمثلة التي تؤكد مقولته، حيث يرى أنَّ تركيبَ الحروفِ (ج ب ر، ج ب ل، ج ب ن) لها معنى واحد هو اجتماع الأجزاء وتراجعها، فالجبر منه جبر العظمة إذا وصل ما تفرق من أجزائه، والجبل سُمي كذلك لاجتماع أجزائه، والجبن يُطلق على الانسان إذا تراجع بعضه إلى بعض واجتمع.[74]

الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المُعَّبر عنها بها ترتيباً وتقديماً .ما يضاهي أول الحدث، وتأخير ما يُضاهي آخره، وتوسيط ما يُضاهي أوسطه، سوقاً للحروف على سمِّت المعنى المقصود، والغرض المطلوب.[75] من ذلك قولهم في كلمة

(بحث)، فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والحاء لصَحَلها تشبه مخالِبَ الأسدِ وبراثن الذئب ونحوها، إذا غارتْ في الأرض، والثاء للنفثِ، والبث للتراب، وهذا أمراً تراه محسوساً محصلاً، فأي شبه تبقى بعده، أم أي شك يعرض على مثله.[76]

وقدْ تَحدثَ ابنُ جِنّي عن قوةِ الألفاظ وملائمة الحروف للمعاني كثيراً ،وقد أَوضحَها بالعديدِ من المفردات في كتابه الخصائص في باب إمساس الألفاظ لأشباه المعاني، من ذلك قوله: القسم والقضم، فالقضم أقوى فعلاً من القسم؛ لأنَّ: القضم يكون معه الدَّقُّ، وقد يُقسم بين الشيئين فلا ينكأ أحدهما، فلذلك خُصَّتْ بالأقوى الصادر، وبالأضعف الشين،[77] ومن ذلك أيضاً تركيب (ق ط ر)، و(ق د ر)، و(ق ت ر)، في لنا خافية مستقلة، والطاء سامية متصعدة، والدال بينها ليس لها صعود الطاء، ولا تزول التاء، وينبغي أن يكون قولهم: مَطِّرَ الإناء الماء ونحوه، إنما هو فعل من لفظ القطر ومعناه، وذلك أنه إنما ينقط الماء من صفحته والخارجة، وهي قطرُه، فأعرف ذلك.[78]

ومن ذلك قولهم: "شدَّ الحبل ونحوه، فالشين بما فيها من التفشي تشبه بالصوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد، ثم يليه إحكام الشد والجذب، فيعبر عنه بالدَّال التي هو أقوى من الشين، ولا سيما وهي مدغمة، فهو أقوى نصعتها وأدلُّ على المعنى الذي أريد بها"، وفي قولهم أيضاً: "جَرُ الشي يَجرُه، قدَّمُوا الجيم؛ لأنَّها حرف شديد، ثم عُقّبوا ذلك الراء، وهو حرف مكرر فكررها في نفسها ... إلخ".[79]

ومن حديثه كذلك ما جاء في كتابه سر صناعة الإعراب عن قوة الألفاظ وملائمة الحروف للمعاني، أنَّ تغيير صوت في الكلمة فقد يبدل معناها أو شدَّتُها، فيقول مثلاً: إنَّ الطاء أقوى من التاء، لأنَّ الطاءَ مجهورٌ مشتعل، والتاء مهموسة،[80] والفاء أقوى من العين والعين أقوى من اللام،[81] ويقول أيضاً: ويذلك على قوة الراء والتاء على اللام والذال أنَّك إذا ذقتهما ساكنين ووقفتَ عليهما وجدتَ الصوتُ ينقطع عند التاء بجرس قوي، ووجدتُه ينقطع عند الدال يجرس خفي، وذلك قولك في إث، إذ إص...إلخ[82] ،وهذا يدل على مدى وعي وإدراك ابن جني بِأنَّ البنية الصوتية طاقة دليلة كبيرة ومهمة في تشكيل المعنى، وأنَّ الأصَّوات ليستْ عملية فيزيائية خالية من رموز نفسية ومعنوية، بَلْ هي كذلك جمالية ودلالية أيضاً، وبهذا يُمكنني أنْ أقولَ لا يُمكنُ إبطال ما دلتْ الدلالة عليه من حكمة العرب التي تَشهدُ بِهَا العقول، وتَناصرُ إليها أغراض ذوي التحصيل، والله أعلم.

ومنها أيضاً: دلالة الصوت على معنى الصيغ الذي تحدثَ عنها ابنُ جنّي في باب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني)، والذي يبدوا فيه ابن جني متأثراً بأستاذه سيبويه ت(180هـ)وذلكَ في المصادر التي جاءت على وزن الفعلان مثل الغليان والغثيان التي تدل على الزعزعة والحركة والاضطراب، وما جاء في ذكره أيضاً للمصادر الرباعية المضعفة التي تحمل في ثناياها التكرار، مثل: القلقلة، والصلصلة والقرقرة وغيرها.[83]

كما أنَّ ابنَ جنّي لَمْ يكتفِ بِمَا ذُكر سابقاً من أفكار متعلقة باللفظ والوزن، والتقارب، وإنَّما يتطرق إلى القيمة التَّعبيرية للصوتِ فَربطَ بين الحرف واللفظ، وصوت الحدث، مرتكزاً على تقارب الجرس الصوتي بين الكلمات، عندما يقول: فأمَّا الألفاظ بِمَا يُشاكلُ أصواتها من الأحداث فبابٌ عظيمٌ وواسعٌ، وذلك أنَّهم كثيراً ما يَجعلونَ أصواتَ الحروف على سمتِ الأحداث المعبَّرُ عنها، كما هو في قولهم: خضم، وقضم، فالخضم الأكل الرطب، كالبطيخ وما كان نحوها من الرطب، :والقاف للصلب واليابس، نحو: قضمت الدابة شعيرها، إضافة إلى ذلك عملَ ابنُ جنيّ على فكره في استنباط الصلة بين جرس الصوت وترتيب الحدث بناءً على ترتيب أصوات الكلمة الواحدة بقوله: "قد يُضيفُون إلى اختيار الحروف وتَشْبِيه أصواتها بالأَحداثِ المُعبَّر عنها بها ترتِيبُهَا، وتقدِيم ما يُضاهِي أول الحدث، وتأخِيرمَا يُضاهِي آخرَه،وتوسيط ما يضاهِي أوسطه؛ سوقاً للحُرُوفِعلى سَمتِ المعنى المقصُودِ، والغرض المطلُوب "[84].

أما رأي المحدثين العرب في إطار المعنى وقوة الألفاظ فنجد صالح سليم عبدالقادر الفاخري يذكره في كتابه الدلالة الصوتية عندما تحدث عن (القضم، والخضم)، فيقول: فالأول لهوي، والثاني صيفي، وكلاهما مهموس، والقاف شديد الرخاء رخو، والشدة، والرخاوة هما اللتان حددتا المعنى، وعلى هذا فإن الصوت الشديد يستخدم في التعبير عن أمور شديدة، والرخو عن أمور لينة ومنه (شدَّ، وصدَّ)، وأراه ينقل ما جاء هبه ابن جني من الأمثلة الواردة في كتابه الخصائص في باب إمساس الألفاظ لأشباه المعاني،[85] كما أرى أنيس قريجة يشير إلى ذلك في أثناء حديثه عن نظرية محاكاة الأصوات معانيها Ding-dong مفادها أنَّ جرسَ الكلمة يدلُّ على معناها، وهي لا تختلفُ كما يقول عن نظرية اليوبو، وقد أشارَ إليها العربُ بطريقةٍ غير مباشرة عندما أشاروا إلى أنَّ للحروف معاني، فحرف (الحاء) يدل على الانبساط والسعة والراحة، وحرف العين يدل على الظلمة والانطباق، والخفاء والحزن، كما في غم وغيم، وعين وغبطه، فنجدُ معانيها متقاربة، وكذلك كلمات عديدة أخرى، الغين والغنة، والزقزقة، والقهقهة، والخرير، وهذه من الكلمات الدَّالة على معناها.[86]

ويرى صالح سليم الفاخري أنَّ فكرة الربط عند ابنُ جنِّي بين شكل الصوت الدَّال ومعناه المدلول في بعض الحالات هي فكرة تقارب بعض النظريات الحديثة في الرمزية الصوتية، وتحدث عن قوة اللفظ مقابل قوة المعنى في باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني، وباب الساكن، والمتحرك وأثره على الدلالة، كما يقول: والدراسات الحديثة التي تناولت هذا الجانب أظهرت أنَّ ابنَ جنِّي قد سبقَ علماءَ اللسانيات المحدثين في انتباهه للعلاقة الناتجة بين الصوت والمعنى، وإنْ لَمْ يستخدمُ المصطلحات اللسانية الحديثة بنفس المصطلحات، وقد وضعَ أسساً مبكرةً لفهمِ أنَّ الصوت يُمكنهُ لعب الدور في تشكيل الدلالة بين الأصوات وصفاتها وبينها وبين معانيها،[87] ونجد إبراهيم أنيس ينعتُ ابنَ جنّي بالزغم أنَّه عندما ينقل عنه ما جاء في (تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني في ربطه بين كلمتي المسك والصَّوار، وفي باب الاشتقاق الأكبر الذي فسره لنا بأنَّ الكلمةَ مهما قلبتها تشتملُ على معنى عام مشترك مثل (جبر)، وعندما يزعم أن مجرد الاشتراك في بعض الحروف يكفي أحياناً للاشتراك في الدلالة مثل ما جاء في كلمتي (دمث، ودمتثر)، وعلى الرغم من أن كلمة (دَمِثر) رباعية الأصول يرى أنَّ مجردَ الاشتراك في الحروف الثلاثة الأولى أدى إلى الاشتراك في الدلالة،[88] والذي يترأ لي أنَّ ابنَ جنِّي يَرى أنَّ الألفاظ القوية في بنية الكلمة وصوتُها تدلُّ على معاني قوية، مثل: التضعيف في الأفعال، نحوك قطّع، وسكّر، كسَّر، التي فيها دلالة على تكرار الحدث، كما يرى أنَّ الألفاظَ ليستْ مجردُ أداة صامتة، بل هي قادرة على توليد المعاني وتلوينها، حيث تربطُ بين قوةش اللفظ وقوة دلالته على المعنى معتمداً في ذلك على أنَّ زيادةَ المبنى (اللفظ) فهو في أغلب الأحيان يؤدي إلى زيادة في المعنى، وأنَّ صياغةَ الحروف هي تحاكي الأحداث الطبيعية وتدل على الحركة أو الشدة، والرخوة، والتكرار.

كما أن تقارب الألفاظ بدوره يؤدي إلى تقارب المعاني، وخاصة في باب تعاقب الألفاظ لتعاقب المعاني حينما يقول: "هذا غورٌ من العربية ما ينتصف منه ولا يكاد يُحاط به، وأكثر كلام العرب عليه وإن كان غفلاً مسهواً عنه"، وهو في اعتقادي ما أفصح عنه في استدلاله على المعيار الصوتي في ثنائية (أز، وهز) التي يتلاقى عنصراها في معنى دلالي واحد هو الإزعاج، والقلق، لتقارب الألف والهاء ؛لأنَّهما حلقيان من ذلك في ثنائية (أسف، عسف) والعسف والأسف عند ابن جني حين يقول: والعين أختُ الهمزة، كما أنَّ الأسف يعسف النفس وينال منها، والهمزة أقوى من العين، كما أنَّ أسف النفس أغلط من التردد بالعسف، وعلى شكله جاء العديد من التراكيب، كـ(ح م س، ح ب س، وسحل، وصهل) والصاد أخت السين، لأنَّهما حرفا

صفير، والهاء والحاء حلقيان،[89] وهذا يدلُّ على شرف هذه اللغة وحسن المنفعة وقوة الدلالة، وذلك أنَّ تجدُ للمعنى الواحد أسماء كثيرة فتبحثُ عن أصل كل اسم منها فتجدُه مُفضي المعني إلى معنى صاحبه، كما قال ابنُ جنِّي في باب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني،[90] إذاً العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة أساسية ضرورية كي تؤدي اللغة مفهومها وما ترمز إليه؛ لأنَّ اللغة لو انفصلت عن معناها لأصبحتْ قوالب مفرغة لا فائدة منها، إذ أنَّه لا بد لكل نقطة من معنى تدلُّ عليه حتى تكتسبُ هذه اللفظة قيمة معنوية؛ لأنَّها تؤدي عملاً ما وتدلُّ على معنى ما في حياة الانسان والمجتمع.[91]

وبهذا يمكنني تلخيص الرمزية عند ابن جني في نقاط جاءت كالتالي:

1. الرمزية الصوتية حاضرة وبقوة في التراث العربي وإنْ اختلفتْ في مصطلحاتها عن التَّطور العلمي الحديث في الدراسات الحديثة.
2. يرى ابنُ جنِّي الرَّمزية في كتابه (الخصائص)، كبنيةٍ عميقة في اللغة من حيث عدم اقتصار دور اللَّفظ على الإشارة المباشرة بل يتعدى التصريح إلى الإيحاء والتلويح كاشفاً عن طبقات المعنى، مستنداً إلى فلسفة عميقة لفهم اللغة حيث يربط بين الألفاظ وسياقاتها المختلفة، وبين دقة البناء الصوتي والتركيب الدلالي.
3. قد تَبنَّى ابنُ جنِّي رؤية فلسفية لغوية مبكرة قريبة من فكرة الرمزية الصوتية الحديثة، وهي فكرة أنَّ أصواتَ الألفاظ ليستْ عشوائية بَلْ لها خصائص متنوعة ترمزُ بها إلى المعاني التي تمثلها ،فتلتقي هذه الرؤية مع بعض الاتجاهات اللِّسانية الحديثة التي آمنتْ بوجودِ علاقة ليست بالإعتباطية بين الصوت والمعنى وهذا يَكشفُ عنْ حسٍ مرهفٍ لُغوي دقيق لابن جني.
4. يرى ابنُ جنِّي أنَّ مناسبةَ الألفاظ للمعاني بَدأتْ بالمحاكاة ،حيث فطرة الانسان برمزيته للأشياء بأصوات تُشْبِهَها متمثلة في حكاية حنين الرعد وخرير الماء ودوي الريح، وغيرها ما جَعله سابقاً لعصره في فَهمِ علاقةِ الصَّوت بالمعنى فكانَ ابنُ جنِّي معتدلا ووسطيا في رُؤيتهِ فهو لا يَنكرُ الاعتباطية ولا الرمزية إذ جَعَلها مزيج بينهم، وأري أن الرمزية موجودة قديمة حديثة في كثير من المواضع ودلالاتها واضحة حتى وقتنا الحالي .

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة

الهوامـــــــــــــش:

(1) ينظر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، هادي نهر، 49، 50، تقديم: د. علي الأحمد، دار الأمل للنشر، الأردن، ط1، 2007م.
(2) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، 363/2، تحقيق: عبدالسلام هارون، اتحاد الكُتاب العرب، ط، 2002م.
(3) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 1727/3، تحقيق: عبدالله علي الكبير وزملائه، دار المعارف، القاهرة. وينظر: تاج العروس، الزبيدي، 161/15، 162، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
(4) ينظر: تهذيب اللغة: الأزهري، 362/4، موافق 2009م.
(5) ينظر: الرَّمزية الصوتية الحدُّ والتجاوز، توفيق العلوي، 218، مجلة للبحث العلمي، كلية الآداب، الجامعة التونسية، منوسة، العدد التاسع والأربعون، 2005م.
(6) ينظر: التهذيب، الأزهري، مادة (دلّ)، 437/4. وينظر: تاج العروس، مادة (دلّ)، 496/28، 498.
(7) ينظر: لسان العرب، (دلل)، 1413/2.
(8) ينظر: تاج العروس، 497/8.
(9) ينظر: أساس البلاغة، الزمخشري.
(10) ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار، 11، 12، عالم الكتب، جامعة القاهرة، مكتبة لسان العرب، له عدة طبعات، 85، 88، 98، 1993م.
(11) ينظر: المصدر السابق نفسه، والصفحات نفسها، 498/28.
(12) سورة سبأ، الآية: 14. وينظر المفردات في غريب القرآن، أبوالقاسم الحسين بن محمد (502هـ)، 171/1، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.
(13) ينظر: الرمزية الصوتية الحدّ والتجاوز، توفيق العلوي، 218، مجلة البحث العلمي، كلية الآداب، جامعة منوبة، الجامعة التونسية، العدد التاسع والأربعون.
(14) ينظر: الخصائص، ابن جني، 88/1، تحقيق: الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة، ط، 2007م.وابن جنّي هو أبو الفتح عثمان عالم لُغوي من علماء البصرة وله العديد من الكتب في النَّحو والصرف.
(15) ينظر: المصدر السابق، 91/1، 92.
(16) ينظر: المصدر نفسه، 93/1.
(17) ينظر: نفسه، 93/1، 94.
(18) الخصائص، 94/1.
(19) ينظر: العين، 7، 81، 82، تحقيق: مهدي مخزومي، إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، 2009م.
(20) ينظر: المصدر السابق، والجزء والصفحة نفسها.
(21) ينظر: الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، 4، 14، الشاملة، 2009م. وينظر: الخصائص، 151/1.
(22) ينظر: الاشتقاق، تحقيق: عبدالسلام هارون، 176/1، موسوعة الخانجي، مصر، 1958.
(23) ينظر: المصدر السابق، 536/1.
(24) ينظر: الاشتقاق، ابن دريد، 4/1، 5.

(25) ينظر: 83/5،
(26) 21/1، بحوث مختلفة في اللغة، موقع الورَّاق، الشاملة، 2009م.
(27) الخصائص، 151/2.
(28) ينظر: دلالة الألفاظ على المعاني، 64، ط3، 1976م، مكتبة الأنجلو المصرية.
(29) ينظر: مناهج البحث، تمام حسّان، 50، 51، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1990م.
(30) ينظرك المصدر السابق، 56.
(31) ينظر: 27، 28، دار الثقافة، دار البيضاء، المغرب، ط، 1994م.
(32) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر، 28، 29.
(33) ينظر: المصدر السابق، 27، 631.
(34) ينظر: علم الأصوات، 625، 624، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م.
(35) ينظر: علم الدلالة أصوله ومباحثة في التراث العربي، مقوز عبدالجليل، 1، 25، بحوث مختلفة في اللغة العربية، قام بجمعها وتنسيقها: عبدالمجيد أبومريقة، 2009م.
(36) دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2001م.
(37) ينظر: فقه اللغة في العربية، عبده الراجحي، 65، دار النهضة العربية للطباعة، بيروت، 1979م.
(38) ينظر: فقه اللغة، عبدالراجحي، 65.
(39) ينظر: المصدر السابق، 66.
(40) ينظر: المصدر نفسه، 64، 65.
(41) ينظر: الساق على الساق فيما هو الفارياق، ½، المكتبة التجارية، القاهرة.
(42) ينظر: تهذيب المقدمة اللغوية، 2636، دار النعمان، بيروت، 1968م.
(43) ينظر: أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، 44، 45، دار المعارف، ط4، 1963م، القاهرة.
(44) ينظر: السيوطي، 40/1، تحقيق: فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.

(46) ينظر: ابن فارس، 424/5، 423، مادة (نَسبَ)، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر، موقع صيد الفوائد، ط، 1979م.
(47) ينظر: ابن منظور، 4405/6، تحقيق: عبدالله الكبير وزملائه، دار المعارف، القاهرة.
(48) ينظر: المصدر السابق، 2615/4، وينظر: مقاييس اللغة، 204/3، مادة شكل.
(49) البرهان في علوم القرآن، 35/1، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء الكتاب، بيروت، ط1، 1957م.
(50) الخصائص، 156/2.
(51) الخصائص، 156/2.
(52) الخصائص، 157/2.
(53) سورة الرحمن، الآية: 66.
(54) الخصائص، 157/21.
(55) ينظر: المصدر السابق، الجزء نفسه، 158.
(56) المصدر نفسه والجزء، 151.
(57) نفسه والجزء نفسه، والصفحة نفسها.
(58) نفسه والجزء نفسه، والصفحة نفسها.
(59) 40/1.

(60) ينظر: المصدر السابق، المزهر، 41/1.
(61) الخصائص، 458/1.
(62) ينظر: دراسات في فقه اللغة، 109، دار النعمان، ط3، بيروت، 1976م.
(63) ينظر: الدلالة الصوتية في اللغة، 144، 145، كلية التربية، جامعة الفاتح، المكتبة العربي الحديث، الإسكندرية.
(64) ينظر: الدلالة الصوتية في اللغة، 146.
(65) ينظر: فقه اللغة، 65.
(66) ينظر: المصدر السابق، 68.
(67) ينظر: مدخل إلى علم اللغة، 11، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط4، القاهرة، 1978م.
(68) من أسرار اللغة، 77، دار مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1976م.
(69) ينظر: من الصوت إلى النص، نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري، ص36، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002م.
(70) ينظر: الخصائص، 115/2، 116.
(71) ينظر: الخصائص، 133/2.
(72) سورة مريم، الآية: 83.
(73) ينظر: الخصائص، 144/2، 145.
(74) ينظر: المحتسب في تبين وجوه القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، 5/2، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1999م.
(75) الخصائص،2/ص،160.
(76)ينظر: المصدر السابق، والجزء والصفحة نفسها.
(77) ينظر: الخصائص،2/ص،160.
(78) ينظر: المصدر السابق والجزء والصفحة نفسها.
(79) ينظر: المصدر نفسه والجزء نفسه ،ص،161.
(80) ينظر: سر صناعة الإعراب، 217/1.
(81) ينظر: المصدر السابق، 788/2.
(82) ينظر: المصدر نفسه، 814/2.
(83) ينظر: الخصائص، 151/2.
(84) ينظر: المصدر السابق، والجزء نفسه، 156، 160،157.
(85) ينظر: 145، 146..
(86) ينظر: نظريات في اللغة، 19/17، الجامعة اللبنانية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981م.
(87) ينظر: الدلالة الصوتية في اللغة العربية.
(88) ينظر: دلالة الألفاظ على المعاني، 64، 65.
(89) ينظر: الخصائص، 144/2، 145.
(90) ينظر: المصدر السابق، والجزء نفسه، 112.
(91)(91) ينظر: العلاقة بين اللغة والفكر، 59، دراسة للعلاقة اللزومية بين الفكر واللغة، أحمد عبدالرحمن حمّاد، جامعة الإمارات العربية المتحدة، دار المعرفة الجامعية، 1985م.